

التأثير الأندلسي المعماري خلال العهد العثماني - قسنطينة أنموذجا -
the architectural influence of Andalusian during The ottoman
period -Constantine sample -

أ. شلابي رفيق

طالب دكتوراه (تاريخ)

جامعة معسكر

Rafik.chalabi@univ-mascara.dz

تاريخ النشر: جويلية 2022	تاريخ القبول: 2021/02/26	تاريخ الإرسال: 2020/12/28
الملخص: إن المساهمة الأندلسية في مختلف المجالات والأنشطة، جعلت منهم فئة اجتماعية متميزة وقد أثرت هذه المساهمة بشكل كبير في مختلف الحواضر والمدن التي استقرت بها الجالية الأندلسية خلال العهد العثماني. وبالنظر إلى بروز سمعة قسنطينة الطبية حضاريا وثقافيا وبحكم موقعها الاستراتيجي الهام والتميز استقبلت هي الأخرى جماعات أندلسية هامة موازاة مع التواجد العثماني بالجزائر. فالبعد الثقافي الأندلسي في قسنطينة واضح المعالم حيث نلمسه في النمط المعماري للمدينة العتيقة البارز في حوماتها علي غرار رحبة الصوف وسوق العصر المجاور لجامع سيدي الكتاني وكذلك باب الجابية والبطحة والسويقة، وقد كان للمهاجرين الأندلسيين دور كبير في الازدهار العمراني بفضل خبرتهم الفائقة في العمارة والزخرفة الكلمات المفتاحية: الأندلسيون - العمران - الزخرفة - قسنطينة - العهد العثماني.		
Abstract: The Andalusian contribution in various fields and activities made them a distinguished social group, and this contribution greatly affected the various cities		

and cities in which the Andalusian community settled during the Ottoman period.

In view of the prominence of Constantine's good reputation culturally and culturally, and due to its important and distinctive strategic location, it also welcomed important Andalusian groups in parallel with the Ottoman presence in Algeria. The Andalusian cultural dimension in Constantine is clear, as we can see it in the architectural style of the ancient city, which is prominent in its hometas, similar to the wool artery and the market of the era adjacent to the Sidi El Kettani Mosque, as well as Bab al-Jabiya, al-Bataha and al-Suwayqa, and the Andalusian immigrants had a great role in the urban boom thanks to their superior experience in architecture and decoration.

Key words: Andalusians - Urbanism - Decoration - Constantine - the Ottoman period.

مقدمة:

استقبلت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الجزائرية جماعات هامة من الجالية الأندلسية وذلك بالموازاة مع التواجد العثماني بالجزائر، فالبعد الحضاري الأندلسي في قسنطينة واضح المعالم حيث نلمسه في العادات والتقاليد والجانب الفني وفي أسلوب العمران والنمط العمراني للمدينة العتيقة.

ونظرا للأهمية التي يكتسبها الموضوع ولفهم تطورات الهجرة الأندلسية إلى مدينة قسنطينة علي العهد العثماني وتأثيراتها الحضارية علي المجتمع القسنطيني يمكننا طرح التساؤلات التالية: فيا ترى ماهي العوامل التي ساعدت علي استقطاب المهاجرين الأندلسيين الي قسنطينة، وما هي مظاهر تأثيرهم في النمط العمراني للمدينة ؟

لمعالجة البحث اتبعت المنهج التاريخي الوصفي التحليلي الملائم لدراسة طبيعة الموضوع وذلك إسهاما مني في التعريف أكثر بهذا الموضوع، من خلال التطرق لاستقرار واندماج الأندلسيون في المجتمع و إبراز مظاهر التأثير المعماري الخاص بهم بمدينة قسنطينة خلال الفترة العثمانية.

معتمداً في ذلك على مجموعة من المراجع نذكر منها: "مظاهر التأثير الإيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر" للمؤرخ ناصر الدين سعيدوني¹ وهي دراسة ومرجعية لكل الباحثين، اهتمت بموضوع الأندلسيين بالجزائر والتي ساعدتنا في إلقاء الضوء على مشاهد أندلسية مورييسكية في إيالة الجزائر ومختلف المدن التي استقرت بها الجالية الأندلسية. بالإضافة إلى كتاب "الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم" لـ: فوزي سعد الله، الذي تناول بدوره دراسات عن أندلسي المدن الجزائرية، بتبيان البعد الحضاري الأندلسي في المدن التي استقروا بها من عادات وتقاليد، والنمط المعماري... وحتى مساهماتهم في مختلف مجالات الحياة.

أولاً/ التواجد الأندلسي في قسنطينة خلال العهد العثماني:

أسباب اختيار الأندلسيون مدينة قسنطينة:

تزايدت الهجرة الأندلسية في القرن السادس عشر الميلادي نحو بلاد المغرب الأوسط بعد أن تمادى حكام إسبانيا في التنكيل وذلك راجع لعدة أسباب وعوامل¹، كما صدر مرسوم يقضي بطرد المسلمين بنهاية سنة 1609م وأن يغادروا المملكة في غضون ثلاثة أشهر²، فقد كان الأندلسيون يختارون الاستقرار من بين مدن المغرب الأوسط عواصمه العلمية والسياسية أكثر من غيرها ما توفره هذه المدن من فرص الاحتكاك بالعلماء من جهة وأعيان ووجهاء الدولة والاستفادة من مزايا لسلطة المتمثلة في المناصب السامية³. وقد عملوا على إثراء الحياة الاجتماعية والاقتصادية في جميع المجالات⁴.

فاستقبلت مدينة قسنطينة هي الأخرى جماعات هامة من الجالية الأندلسية، وإن لم توجد إشارات واضحة في المصادر لكن بالنظر لبروز سمعة قسنطينة الطبية حضارياً وثقافياً من المؤكد أن تكون جماعات أندلسية هامة قد حلت بقسنطينة موازات مع التواجد العثماني بالجزائر قادمة من

¹ - سميرة زغيب، المؤلف من الأندلس إلى قسنطينة المنشأة والخصوصيات، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2009م، ص95.

² - H.D Degrammont. Histoire D'Alger sous la domination turque : (1515-1830), Ernest leroux. Editeur, paris, 1887, P07.

³ - رفيق خليفي، تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الوسط 8 - 16م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات، بإشراف: علاوة عمارة، دار اقرأ، ط1، قسنطينة، 2013م، ص99.

⁴ Tal SHUVAL, la ville D'Alger vers la fin de 18 siècle, population et cadre urbain, paris, CNRS édition, 1998, p. 126.

المدن الساحلية كالقل¹، التي كانت تعتبر تابعة إداريا إقليم قسنطينة خلال العهد العثماني ويذكر مارمول كربخال في كتابه وصفا إفريقيا إذ يقول: "وفي المدينة أكثر من ثلاثمائة من سكانها من المسلمين الذين هاجروا من قشتالة والأندلس ومن أهل الثغور ومن مملكة بلنسية وتزداد هذه المستوطنة يوما بعد يوم لأن البلد خصب كثير القمح والماشية وبه جميع أنواع الفواكه كما في أوروبا، ويضاف إلى ذلك أن السكان يكسبون ثروات عظيمة من تربية دودة القز...²".

تناقلت الأوساط الأندلسية في مدينة قسنطينة أن تواجدهم بهذه الحاضرة، حلوبها بمحض الصدفة لجئوا بها هروبا من محاكم التفتيش في اسبانيا بعد سقوط غرناطة تقاذفتهم الأمواج إلى مدينة القل، وهو ما ينقل أحد الأزجال الأندلسية واصفا ظروف الرحلة الخطرة من مالقة الاسبانية إلى القل وهذا ما تتناوله الروايات، وكل ما هو معروف هو زحل موقع من طف شخص يدعى عبد المولى ويوصف بأندلسي الأصل، عنوانه: "يا قوم كيف الاحتلال ويقول في مطلعته":

يا قوم كيف الاحتلال	الخل جفاني
أنا نتبع في الغزال	أحمد ناظر عيني
من جـجل خرجنا عشية	وركبنا على ظهر البحار
وقلنا بـريح سخية	إلى أن جينا رؤوس لامار
أكثر الريح ذاك العشية	اللي رعى البحر يقدر نار
للقل ما طقت الدخول	واشتدت بنا الويل
والله لا غيم يزول	لا موسى في ذا الليل
فكنا نوطيو القلوع	حتى لشر الليل ³

¹ فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، دار قرطبة، 2016م، ص257.

² مارمول كربخال، إفريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة للنشر، الرباط، 1989م، ص362.

³ فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، ط1، دار قرطبة، 2011م، ص568، 569.

من الأسباب الحيوية التي ساعدت في استقطاب أفواج المهاجرين الأندلسيين طبيعة البلاد وكذا مناخها المعتدل ومن المؤكد أن بلاد المغرب الأوسط بشكل عام لا يختلف كثيرا من الناحية الطبيعية عن بلاد الأندلس ويوجد تشابه كبير في الطبيعة المناخ¹.

فقد أسهمت عدة عوامل في توجه هؤلاء المهاجرين إليها منها موقعها المميز بالحصانة الطبيعية وخصبة التربة فهي اشبه ببلاد الأندلس، فضلا عن كونها كانت على اتصال دائم بالأندلس، منذ العصور الوسطى والأخيرة².

ثانيا: اندماج العنصر الأندلسي في المجتمع القسنطيني:

لعل أبرز مظاهر التأثير الاجتماعي للعنصر الأندلسي في إيالة الجزائر ومختلف المدن التي استقروا بها كمدينة قسنطينة يتصل خاصة بالتقاليد ومظاهر الحياة اليومية، فإذا انتقلنا إلى مجال العادات والتقاليد سنجد أن الجالية الأندلسية ظلت محافظة على عاداتها وتقاليدها داخل مناطق لإقامتها فيهما بينها، لم يكن أفراد الجالية الأندلسية ميالون للاختلاط والامتزاج بغيرهم من السكان الأصليين، ومن المتعارف أن العادات والتقاليد الإسلامية لا تختلف كثيرا من منطقة إلى أخرى، سواء في الأندلس أو في بلاد المغرب³.

حافظ الأندلسيون على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو في الأفراح وطرق الطهي ونوعية اللباس والأكل، كما حافظوا على مظاهر مميزة للاحتفال بالأعياد والمواسم الدينية فقد كانوا يحرصون على ترديد الأناشيد والمدائح الدينية، وأثناء ذلك كانت تقدم مختلف أنواع الأطعمة والحلويات التي تميزت بنوع أندلسي وطابع تركي حافظت له العائلات الجزائرية وبما فيها

¹ - قدور عبد المجيد، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، الجزائر، ونتائجها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004-2005م، ص 140..

² - علي أحمد كرير، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلس، في مدينة بجاية خلال القرن السابع هجري، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، العدد 4، مصر، 2013م، ص 22.

³ - عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية إلى المغرب ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائر كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، جامعة منتوري - قسنطينة، ديسمبر 2003م، ص 175، 176.

العائلات القسنطينية¹. فعلى سبيل المثال المأكل يعكس صورة المجتمع وتراثه ومعرفته تكشف جانبا مهما من حياة المجتمع فهو يبين طرق المعيشة كما هو معروف سكنت فئة الأندلسيين مدينة قسنطينة بعد ان أصبح الوجود الإسلامي ببلاد الأندلس مهددا بحركة الاسترداد النصرانية، فقصدتها العديد من المهاجرين الأندلسيين ونقلوا عاداتهم من مأكل وملبس²، فالجالية الأندلسية في مختلف المناطق التي استقرت بها أصبحت تشكل عنصرا بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة إذ كان لهم تأثير اجتماعي كبير يتصل خاصة بالتقاليد ومظاهر الحياة اليومية فقد حافظوا على تقاليدهم الخاصة سواء في المعاملات أو مظاهر الأفراح من أعياد ومناسبات³.

من جهة أخرى فالكتابات التاريخية ترتب الأندلسيين ضمن فئة الحضر بمدن الجزائر العثمانية وقد أنصف "وليم شالر" الحضر الأندلسيين حيث وصفهم سلوكهم بالبلاقة والمجاملة، ووجدتهم في معاملاتهم متمدينين وإنسانيين، ولم يكتشف فيهم التعصب الديني أو الكره للأشخاص الذين يدينون بدين غير دينهم⁴. أما بالنسبة للباس فقط ارتبط عموما بتقاليدهم وأعرافهم التي لازمتهم في حياتهم حسب الظروف وباختلاف الظروف الاجتماعية، فانسجت الطبقة الراقية بالفخامة من حيث الجودة في حين يغلب مظهر البساطة على شباب العامة⁵، فقد كان الأندلسيون العامة يلبسون الجباب والثياب القطنية والسراويل وكان يطلقون كلمة الغفارة على البرنس، ويرتدون ما يسمى بالمحشاة وهي لباس غليظ وسميك كان يلبس في فصل الشتاء⁶.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص58.

² - بوبة مجاني، مدينة قسنطينة في الفترة الإسلامية دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8، جامعة قسنطينة، 1997، ص 58.

³ - طيبي مهدية، نموذج من العائلة الأندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 17 - 18م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر، 2012م، ص 180.

⁴ - بن عتو بلبروات، المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال الاندماج الاجتماعي، مجلة المواقف، العدد 4، جامعة معسكر، 2009م، ص 61.

⁵ - دوالي خديجة، الفكر الديني عند الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16-17م من خلال بعض المخطوطات الألفميدانية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بلعباس، 2013-2014م، ص 939.

⁶ - ثريا محمود عبد الحسن، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ - 625هـ، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة ديبالي، ص 198.

أما من جهة تأثير الأندلسيون في المجتمع القسنطيني في اللهجة نجد اللسان القسنطيني يتحدث هو الآخر بنفسه عن التأثير الأندلسي، مع وجود بعض التباينات الناتجة عن تأثير قسنطينة بلسان وأساليب نطق الجهات المجاورة، لكن تاءها على سبيل المثال هو حرف التاء ذاته المنطوق على الصيغة الأندلسية في جبل وبجاية ومدينة الجزائر وحتى تلمسان وبعض المدن المغربية كتيطوان وشفشاون، والتي هي أخرى احتضنت جاليات أندلسية بأعداد كبيرة ورغم مضي قرون على وصول أفواج منهم مدينة قسنطينة والامتزاج العميق بين السكان المحليين مازال الأثر الأندلسي البشري حاضرا من خلال وجود عائلات أبييرية نذكر منها: بن غبريت، أو بن غبريد، وكيموش، التي رجع أنها قد إلى مدينة سيدي راشد من جبل التي كانت محطتها الأولى بعد الخروج من الأندلس وعائلة بن قانة الشهيرة منذ بدايات العهد العثماني، وميمون المنحدرة من حاخام أندلسي اسلم في القرن 16م، وابن تشيكو وتشيكو، وطبال، وابن طبال، وابن شريف، ومنثوري وسيد وبلقليعة وابن حسين، والوزان، وفرجيوي، وعجاني وكلها موجودة في مدينة قسنطينة حتى اليوم¹.
ضف إلى ذلك فالعنصر البشري الأندلسي أثر كبير من يبتث النمو الديمغرافي وتعمير جميع المدن التي استقروا بها، لاسيما بعد انتشار الأمراض المجاعات التي أدت إلى هلاك عدد كبير من السكان الأصليين، الأمر الذي ترك الباب أمام الوافدين الأندلسيين فعمروا المدينة وأعادوا لها الحياة².

ثالثا: التأثير الأندلسي المعماري في مدينة قسنطينة.

عرفت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن منذ القدم مراحل عديدة، حيث زحفت قبائل الهالبيين وسيطروا عليه ليخلفهم الحماديون ثم الحفصيون الذين جعلوها مجلسا للعلم والعلماء وهو ما زاد في عمرانها وأسواقها، وبقيت قسنطينة على هذا الحال إلى أن دخلها العثمانيون الذين حافظوا على مكانتها المرموقة فأصبحت ثاني مدينة بعد العاصمة، و تعتبر عاصمة بايلك الشرق بفضل موقعها الاستراتيجي³.

¹ - فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي...، ج2، المرجع السابق، ص، ص 266، 267.

² - عبد المجيد قدور، الهجرة الأندلسية...، المرجع السابق، ص 175.

³ - محمد الهادي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م، ص-ص 49 - 135.

كانت قسنطينة تتربع على صخر شامخ يحدها جرف وادي وادي الرمال العميق من ثلاث جهات وهو حصنها الطبيعي وبشكل خندقا منيعا أيام الحروب ويحدها من جهة الرابعة وبين باب الجابية وباب الوادي والباب الجديد في اتجاه مدينة ميله، وعلى غرار المدن الإسلامية حفظ أهل قسنطينة ذاكرة أعلامهم أوليائهم في معالمهم العمرانية كمال وظفوا التوزيع الحرفي والتسميات الطبوغرافية أو العمرانية ذات المعنى الواضح¹.

في المقابل بعد سقوط غرناطة استقبلت الدولة العثمانية في الجزائر المهاجرين الأندلسيين ويسرت لهم سبل الاستيطان، ووجد المهاجرون الترحاب من طرف الأهالي في المدن الجزائرية الكبيرة، كالجزائر وتلمسان وبجاية وقسنطينة، وقد أثرت هذه الهجرة على المدن الجزائرية تأثيرا دائما خاصة في الفنون²، وكما جاء في وصف الجزائر للرحالة الاسباني "هايدو" سنة 988هـ-1580م، لقد انتشرت بها القصور المشيدة على الطراز الأندلسي التي كان يجلب لها الرخام من إيطاليا، وعجت هذه القصور بأجمل ما أبدعه الفن الأوربي من تحف فنية والتي كان يسلمها القراصنة من السفن الأوربية³.

ضاف إلى ذلك نتيجة امتزاج العنصر الأندلسي في المجتمع الجزائري، تخولت حرفة البناء من حرفة أندلسية إلى حرفة محلية، إبان القرن السابع عشر هيمن العنصر الأندلسي بحيث نجد أن معظم المعلمين المهرة الذين أسندت إليهم إدارة جماعة البنائين وتسييرها كانوا أندلسيين، وتعد عائلة الثغري إحدى أبرز العائلات الأندلسية تصدرت جماعة البنائين الأندلسيين من سنة 1634م إلى ما بعد 1659م، كما تجدر الإشارة إلى غياب العنصر التركي والكرغلي على حد سواء في جماعة البنائين⁴.

وفي المقابل ومع ازدهار الحضارة الإسلامية وما فيها من نهضة عمرانية واسعة، تميزت بالاعتناء بالجماليات العمارة وزخرفتها، حيث ازدهرت صناعة الرخام وانتشر استخدامها كما تأثر

¹ - فاطمة الزهراء قشي، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة انسانيات، العدد 19-20، قسنطينة، 2003م، ص 8.

² - علي منتصر الكتاني، انبعاث الاسلام في الاندلس، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005م، ص، ص 179، 180.

³ - عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010م، ص 166.

⁴ - عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2007م، ص 233.

الصناع والفنانون الجزائريون بالأساليب الفنية العثمانية التي دخلت إلى الجزائر مع قدوم العثمانيون وكانت هذه الأساليب عثمانية محطة أو أساليب عثمانية متأثرة بالأسلوب الأوربي، بالإضافة إلى التأثيرات الفنية الأندلسية التي كانت قبل وأثناء الحكم العثماني بالجزائر¹، فقد اهتم البايبربايات ببناء الحصون والقصور والمساجد والحمامات، وشهدت الجزائر ازدهارا كبيرا في العمران فشيدت بها قصور جميلة مزخرفة بالرخام ومدت قنوات المياه والعيون إلى مختلف الأحياء، وأسست حمامات وقلع ما تزال تشهد باهتمام الولاية للجانب العمراني، وقد كان لمهاجري الأندلس دور كبير في الازدهار العمراني بخبرتهم الفائقة في العمارة والزخرفة². ولقد تفنن الصناع الأندلسيون في صناعة نوع جيد من الخزف المعروف بـ: "الزليج" كان يستعمل لتبليط أرضية المنازل، وتزيين المساجد، والعيون والأبواب. وقد كانت هنالك ورشات يعالج بها الرخام، ويحضر فيها الجبس، كما كان الآجر والقرميد المجوف يُستعمل في تغطية المنازل بتلمسان وغيرها من المدن الساحلية³.

فالبعد الثقافي الأندلسي في مدينة قسنطينة غيرها من المدن التي استقرت بها الجالية الأندلسية وضاح المعالم حيث نلمسه في النمط المعماري للمدينة العتيقة البار في حوماتها مع غرار السويقة وبابا الجابية البطحة ورحبة الصوف وسوق العصر المجاورة لجامع سيدي الكتاني، فأسلوب العمارة وإن كان يختلف في بعض التفاصيل عن نظيره في مدينة الجزائر وتلمسان وغيرها من الحواضر التي تحمل بصمات أندلسية، إلا أنه في جوهره يخضع للمقاييس والأنماط ذاتها السائدة في المدن الأندلسية ونظيراتها المقابلة على السواحل المغربية⁴.

¹ - ديب بدرينه، جمالية الزخرفة النباتية على الرخام خلال العهد العثماني منبر جامع سيدي الكتاني بقسنطينة - أنموذجا-، مجلة أفاق للعلوم، العدد 8، جامعة الجلفة، 2017م، ص 353.

² - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، د م ج، الجزائر، 2009م، ص 32.

³ سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب)، من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، ع 31، جامعة الكويت، 2010، ص 36

⁴ - فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي...، ج 2، المرجع السابق، ص 256.

من جهة أخرى العنصر الأندلسي كان متميزا في كل شيء في مأكله وملبسه فلا غرابة أن نجده متأنق في اختيار مسكنه، فقد كانوا بارعين في العمارة ومهاراتهم في النحت والنقش والتنميق والزخرفة.¹ من جهة أخرى فن العمارة القسنطيني يتشابه كثيرا في بعض تفاصيله مع نظيره الاشبيلي لاسيما في طوبوغرافيته الصخرية الوعرة، مع مدينة رندة الأندلسية الواقعة في مقاطعة مالقة، فمدينة قسنطينة تطل من أعلى صخرة عملاقة، ولا تختلف عنها في ذلك مدينة رندة الحاضرة الصخرية، ومثلما يوجد وادي الرمال في قسنطينة متوسط طرفيها الصخريين، يشق وادي مماثل يسمى واد شق التاج مدينة رندة، ضف إلى ذلك توجد بالقرب من مدينة رندة الاسبانية، مدينة أخرى تسمى قسنطينة (constantina)، من الواضح تشابه اسم المدينة لاسم المدينة الجزائرية قسنطينة، فقد كانت هذه المدينة تصنع في جبالها قنابل ومدافع الأندلسيين لمقاومة الزحف النصراني في القرن 15م.²

وكما جاء في كتاب الاستبصار، حيث يقدم لنا صاحب الكتاب وصفا لمدينة قسنطينة إذ يقول: "مدينة قسنطينة حصينة في نهاية من المنعة والحصانة لا يعرف بأفريقية امنع منها ليس لها في المنعة نظير غير مدينة رندة بالأندلس فإنها تشبهها في وضعها والخذق المحيط بها والحافة المحدقة بها شبا كثيرا..."³.

سأقتصر هنا الحديث عن اثر الهجرة الأندلسية على العمران بالمغرب الأوسط، فقد كان لهذا التوافد الكثيف أثره من الناحية العمرانية وذلك باستقرار جماعات منهم بالمناطق الداخلية على غرار مازونة وقلعة بني راشد وقسنطينة، كان لهذه الهجرة انعكاسات ديمغرافية وأحدثت أزمة عقارية في معظم المدن الساحلية مما دفع بالسلطات التي تهجيرهم للمناطق الريفية حيث كان هذا

¹ - محمد رزوق، المرجع السابق، ص 298

² - فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي...، المرجع السابق، ص، ص 264، 265.

³ - بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير في الآداب شعبة أدب الرحلات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م، ص 100.

دافعا لهم لإقامة تجمعات سكانية على غرار بلدة القليعة التي أسسها الوافدون من مناطق بلنسية 957هـ - 1550م، كما أقاموا أيضا العديد من التجمعات السكانية كالمناطق الساحلية في السهول¹.

خاتمة:

توصلت من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من الملاحظات العلمية هي:

- توافد العديد من المهاجرين الأندلسيين على طول الشريط الساحلي لبلدان المغرب الاسلامي، وقد كان للجزائر حظا وافرا من هؤلاء المهاجرين اثر صدور قرار الطرد النهائي في حق المويسكريين سنة 1609م فتوالى الهجرات الى مدينة الجزائر وضواحيها بأعداد متفاوتة.

- كان للأندلسيين لمسة معمارية في الجزائر تميزت بطابعها العمراني الأندلسي الجميل وكان لهم تأثيرا واضحا في المساجد والمنازل كما شيّدوا المباني المختلفة علي الطراز الأندلسي، فمعظم المدن التي استقر بها الأندلسيين كانت تتميز بالطابع الأندلسي.

- استقبلت مدينة قسنطينة هي الاخرى جماعات هامة من الجالية الأندلسية الموريسكية وذلك بالنظر لبروز سمعة قسنطينة الطبية حضاريا وثقافيا منذ القدم وذلك موازاتا من التواجد العثماني بالجزائر

- ساهم الأندلسيون في الحياة الثقافية الفنية بمدينة قسنطينة وبالأخص في الجانب الفني المعماري وهو ما نلمسه في النمط المعماري البارز علي غرار رحبة الصوف وسوق العصر وباب الجابية وغيرها من مناطق المدينة العتيقة، فأسلوب العمارة وان كان يختلف في بعض التفاصيل عن نظيره في مدينة الجزائر أو مدينة تلمسان إلا انه في جوهره يخضع للمقاييس والأنماط ذاتها في المدن الأندلسية ونظيراتها علي السواحل المغربية التي احتضنت اللاجئين الأندلسيين من الاضطهاد الاسباني.

¹ - علاوة عمارة، الهجرة الاندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران، ضمن كتاب : الهجرة المغربية المغربية وأبعادها السوسيوثقافية، بإشراف: كمال فيلالي، مطبوعات الملتقيات السنوية، الجزائر، 2014م، ص، ص 53، 54.

قائمة المصادر والمراجع:

- بن عتو بلبروات، المهاجرون والمهجرون إلى الجزائر العثمانية بين الانعزال الاندماج الاجتماعي، مجلة المواقف، العدد 4، جامعة معسكر، 2009م، ص 61.
- بورايو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير في الآداب شعبية أدب الرحلات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008م.
- دوبالي خديجة، الفكر الديني عند الموريسكيين الأندلسيين خلال القرنين 16-17م من خلال بعض المخطوطات الألفيادية، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة بلعباس، 2013-2014م.
- ديب بدرينه، جمالية الزخرفة النباتية على الرخام خلال العهد العثماني منبر جامع سيدي الكتاني بقسنطينة- أنموذجا-، مجلة أفاق للعلوم، العدد 8، جامعة الجلفة، 2017م، ص 353-361
- رفيق خليف، تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الوسط 8- 16م، ضمن كتاب: مغرب أوسطيات، بإشراف: علاوة عمارة، دار اقرأ، ط1، قسنطينة، 2013م.
- سميرة زغيب، المؤلف من الأندلس إلى قسنطينة المنشأة والخصوصيات، ط1، دار البعث، قسنطينة، 2009م.
- طيبي مهدية، نموذج من العائلة الأندلسية في مدينة الجزائر في الفترة العثمانية القرنين 18 - 19م، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، جامعة الجزائر، 2012م، ص 179-191.
- عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، منشورات ANEP، الجزائر، 2007م.
- عبد الحسن ثريا محمود، أزياء المجتمع الأندلسي من سنة 92هـ - 625هـ، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة ديالي، ص 191-218 .
- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة، الجزائر، 2010م.
- علاوة عمارة، الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في العمران، ضمن كتاب: الهجرة المغاربية المغاربية وأبعادها السوسيوثقافية، بإشراف: كمال فيلالي، مطبوعات الملتقيات السنوية، الجزائر، 2014م.

- علي منتصر الكتاني، انبعث الاسلام في الاندلس، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 2005م.
- فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، ج2، دار قرطبة، 2016م.
- فوزي سعد الله، صفحات مجهولة من تاريخ الغناء الأندلسي بتلمسان ومدن أخرى، ط1، دار قرطبة، 2011م.
- قدور عبد المجيد، الهجرة الأندلسية إلى المغرب ونتائجها الاجتماعية والحضارية الجزائرية، كنموذج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، جامعة منتوري - قسنطينة، ديسمبر 2003، ص 171-180.
- قدور عبد المجيد، هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط، الجزائر، ونتائجها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2005-2004م.
- كريب علي احمد، التأثيرات السياسية والاقتصادية للأندلسيين في مدينة بجاية خلال القرن السابع هجري، المجلة العربية للعلوم الاجتماعية، العدد4، مصر، 2013م، ص ص 21-37.
- مارمول كربخال، افريقيا، ج2، تر: محمد حجي وآخرون، المعارف الجديدة للنشر، الرباط، 1989م.
- مجاني بوبة، مدينة قسنطينة في الفترة الاسلامية دراسة اجتماعية واقتصادية، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8، جامعة قسنطينة، 1997، ص ص 53-72.
- محمد الهادي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م.
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الايبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.
- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ط2، د م ج، الجزائر، 2009م.
- سعيدوني ناصر الدين، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثمانية (الجزائر-تونس-طرابلس الغرب)، من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجري (من القرن السادس

عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي، حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية، ع 31، جامعة الكويت، 2010، ص.ص 134.08.

- قشي فاطمة الزهراء، معالم قسنطينة وأعلامها، مجلة انسانيات، العدد 19-20، قسنطينة، 2003م، ص ص 7-18.

-H.D Degrammont, Histoire D'Alger sous la domination turque: (1515-1830), Ernest Leroux. Editeur, paris, 1887.

- Tal SHUVAL, la ville D'Alger vers la fin de 18 siècle, population et cadre urbain, paris, CNRS édition, 1998.